القريبة من البادية. وقد نما الاستيطان في المناطق السهلية من فلسطين، نتيجة تحسّن الامن الداخلي، بعد منتصف القرن التاسع عشر. أمّا المناطق الجبلية، فقد تميّزت باستمرارية الاستيطان فيها[٢٩].

واستقبلت فلسطين اعداداً كبيرة من المهاجرين، وخاصة من اليهود، ممّا احدث تغييراً كبيراً في ايكولوجية المدينة الفلسطينية؛ اذ نقل المهاجرون اليهود نظام حياتهم ومهنهم وخبراتهم الى المدن التي اقاموا فيها. وفي الوقت عينه، أدّت الهجرة القسرية والجماعية الى فلسطين، وخاصة من المدن، الى سهولة ادخال النمط الغربي الى المدينة الفلسطينية، والى تخلّيها عن النمط الاسلامي الشرق اوسطي. أمّا المهاجرون اليهود، فقد كانوا يحملون ثقافات مغايرة، وجذورهم الحضارية ليست غريبة عن المنطقة فحسب بل ومتباينة فيما بينها أيضاً. وهم، أيضاً، مختلفون في مهنهم وفي لغاتهم. وقد انعكس ذلك على المدن التي يشكلون غالبية سكانها، وذلك في الجزء الذي أُقيمت عليه اسرائيل في العام ١٩٤٨. أمّا الجزء الذي أطلق عليه «الضفة الغربية» اثر نكبة العام ١٩٤٨، فقد اختلفت مدنه في طبيعتها عن مدن قطاع غزة. وبذلك يمكن تقسيم المدن في فلسطين، حالياً، الى ما يلي:

○ مدن غربية غريبة عمّا هو معروف في الشرق الأوسط، مثل تل ـ أبيب ونتانيا وايلات والخضيره وبيتح تكفا وكريات شمونه والعفّولة وبئر السبع وكريات غات واسدود وعراد وعسقلان وبني براك وديمونا وبيت شيمش ورعنانا وحولون ومعالوت ومجدل هعيمق والناصرة العليا ورحوفوت وطبريا ويروحام، وغيرها ممّا اقامها اليهود على النمط الغربي الذي اعتادوه.

○ مدن شهدت تغيرات كبيرة، ولكنها تحتفظ ببعض المناطق والمعالم التي تدل على انها ليست غريبة عن مدن الشرق الاوسط، مثل يافا واللد وحيفا والجزء الذي احتل من القدس في العام ١٩٤٨، وغالبية سكانها من العرب. الّا ان السلطات الاسرائيلية تقوم بتغيير معالم هذه المدن تدريجياً، وبصورة جذرية، على الطريقة المتبعة في المدن الغربية.

○ مدن ما زالت محافظة على طابعها الشرق أوسطي، وتقاوم التغيير، مثل مدن الناصرة وعكّا القديمة والطيبة والطيرة وام الفحم، وجميع مدن الضفة الفلسطينية، ما عدا المستوطنات المدينية التي اقامتها اسرائيل بعد العام ١٩٦٧، مثل اريئيل وعوفرا وكريات اربع ومعاليه ادوميم، وغيرها.

○ مدن قطاع غزة، التي يمكن ان تتبع المدن الواردة في البند السابق، ولكن لها طابعها المميز، وذلك لكثرة اعداد المهاجرين، ولاختلاف ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية، وهي الظروف التي كان لها اكبر الاثر في التأثير في ايكولوجية المدينة الفلسطينية الحالية، بصفة عامة.

○ لقد شهدت المدن الفلسطينية تذبذباً في عدد سكانها خلال الفترة الاخيرة. منها ما شهد زيادة مطردة، ومنها ما عانى من هجرة ونقص في السكان، ومنها ما شهد زيادة سكانية بطيئة. ان الزيادة الكبيرة، او النقصان الحادّ، في عدد السكان ليس هو الظاهرة الوحيدة التي شهدتها المدن الفلسطينية. فقد صاحبتها تغيّرات عرقية، نتيجة للهجرة اليهودية الوافدة والهجرة القسرية للفلسطينيين. وفي العام ١٩٤٤، قبل اقامة دولة اسرائيل في العام ١٩٤٨، وعلى الرغم من الهجرة اليهودية الكبيرة، وخاصة الى المدن، تركّز العرب في المدن بنسبة عالية، بينما تركز اليهود بنسبة كبيرة في مدينة تل ـ أبيب، وبنسبة أقل في مدينتي القدس وحيفا. ولم يوجد اي يهودي في مدينتي الناصرة والرملة، بينما كان عددهم لا يتجاوز بضع عشرات في كل من عكّا واللد (انظر الجدول الرقم ١).